

النظام النصي في الكتاب المقدس "العهد القديم نموذجاً"

عبد الحق مجيطنة

جامعة الحاج لخضر . باتنة

البريد الإلكتروني: abd.medj@yahoo.fr

الملخص: ينطوي الكتاب المقدس شأنه شأن الكثير من النصوص المقدسة . على مشاكل نصانية عديدة ؛ من ترتيب وإعادة ترتيب النصوص وتنظيم وتقديم وتأخير وحذف وزيادة... الخ ، ووفق أشكال بنيوية مختلفة أحيانا ومتناقضة أحيانا أخرى ، خلال فترات زمنية متباعدة. والأكد لدينا أن الترتيب الذي نراه اليوم لأسفار العهد القديم ليس أصليا فيه ، بل هو من اجتهاد الكهنة وكتبة الأسفار ، يعكس تصورهم لبنية النص المقدس كما اتفقوا عليها أثناء تدوينه وتقييده. في مقابل ذلك هنالك من يدافع على توقيفية الترتيب والتنظيم في نصوصه المقدسة ، رغم أن أسفاره لا تنتمي إلى الحقبة الزمنية ذاتها ، فبينها مدى زمني يستغرق عدة قرون ، هذا دون أن ننسى أن الأسفار متشابكة فيما بينها من حيث تاريخ ظهورها وزمن تأليفها وتدوينها ، وكذلك تعدد المصادر واختلافها.

الكلمات المفتاحية: النص المقدس ؛ العهد القديم ؛ التوراة ؛

أركيولوجيا الكتاب المقدس .

مقدمة: الكتاب المقدس أكثر النصوص المقدسة إثارة للجدل ، وهو الحامل المادي لجزء هام وعريق من التراث الديني والثقافي للإنسانية جمعاء ، إنه النص المتوارث بين الأجيال المتعاقبة منذ ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة. إنه سجل تاريخي للثقافة والحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ ، يحمل بين طياته رصيда دينيا وأركيولوجيا وأديبا.. يكشف لنا الكثير من خفايا الحياة الثقافية والاجتماعية للإنسان في عصور غابرة ، ويكشف النقاب عن مرحلة مهمة في تاريخ الحياة الروحية للإنسان ؛ هي مرحلة الديانات السماوية. إنه حلقة الوصل بين مرحلتين متميزتين ومتداخلتين من مراحل الحياة الروحية للإنسان: مرحلة الديانات الوثنية ومرحلة

الديانات السماوية. إنه ببساطة الكتاب الأكثر قداسة والأكثر هيمنة على معتنقيه ومعتنقيه منذ فجر التاريخ ، كان ولازال موضوع نقاش مستمر ، تثير نصوصه مشاكل معرفية لا حصر لها.

تحت تأثير عوامل متعددة أهمها السلطة الكاريزمية الدينية القدسية التي يتمتع بها الكتاب المقدس ، وكذلك تاريخه الطويل المتشعب الروافد والمتعدد المصادر ، نجد أنفسنا أمام محاولات يائسة لفهم نصوصه وتشريحها وتفسيرها ، إنه نص ثيولوجي مقدس ، معقد البناء ومتعدد المصادر والروافد ، يطرح نفسه بصعوبة أمام المسألة العلمية والكشف النقدي الصارم. وأي محاولة علمية تهدف لسبر أغوار الكتاب المقدس ، قد تصطدم بعوائق نسانية تجعل البحث فيه أمرا ذا صعوبة بالغة. فالعهد القديم هو كذلك مدونة كلامية ، لكنه ليس مجرد كلام عادي ، إنه: نص لغوي ، ونص مقدس. فالنص المقدس شأنه شأن النص القرآني ، هو نتيجة تلك العملية المعقدة التي تسمى: الوحي ؛ أي أنه الشكل المادي الملموس الناتج عن تلك العملية الميتافيزيقية المنتجة لنصوص الكتاب المقدس.

يبدو جلياً أن ما يثيره النص المقدس من إشكاليات نسانية مردّها بالدرجة الأولى إلى تاريخه المليء بالتعقيدات النصية ، التي طالما ميزت بناءه على مر التاريخ ، لتتبلور عنها النصوص المقدسة التي نراها اليوم. فمن خلال رصد تاريخ الكتاب المقدس يبدو لنا أن سلسلة الظروف التي ساهمت في بنائه على قدر كبير من التعقيد والتداخل ، بشكل يجعل محاولة رصدها فحسب ، أمرا غاية في الصعوبة إن لم نقل مستحيلا. والشكل الذي استقر عليه الكتاب المقدس هو نتيجة نهائية لعدد لانهائي من العمليات المختلفة التي صاغته أو ساهمت على الأقل في صياغته ، وليس من السهل رصد ودراسة هذه العمليات المتعاقبة التي صاغت البنية النصية للكتاب المقدس ، مع التأكيد أن فهمها قد يساهم في تفسير بعض الظواهر النصية في الكتاب المقدس ، ويجيب عن الأسئلة التي يطرحها النص المقدس.

1 . النص المقدس بين التوقيف والتوفيق: بغض النظر عن

المشاكل النصية التي تطرح نفسها في النص المقدس (التوراة خصوصا) ،

والمعلقة بظهور وحفظ وتدوين العهد القديم ، فإن نصوصه لا تكف عن إثارة المشاكل النصية العميقة ذات الصلة ببنية النص وجسده ، بصرف النظر عن مضمونه ، وتعلق هذه الإشكالات بنظام الترتيب والتبويب الذي صيغت وفقه أسفار العهد الكتاب المقدس عموما والعهد القديم خصوصا. وما تؤكد المصادر التاريخية أن سلسلة من العمليات النصية: تحليل وتركيب ، عبر مراحل تاريخية طويلة تزيد عن العشرة القرون قد أفضت إلى نظام الترتيب والتبويب الذي نراه اليوم في الكتاب المقدس ، خاصة أسفار التوراة الخمسة. "وكانت النتيجة أخيرا الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى [...] فأسفار الأنبياء والأسفار التاريخية لا بد أنها خرجت إلى الوجود بهذا الترتيب قبل التصنيف الأخير للأسفار الخمسة ، ولكن لم تقبل على أنها أسفار مقدسة إلا في تاريخ متأخر." ¹ حيث يختلف تبويب وترتيب الأسفار المقدسة عند اليهود عما هو عليه عند النصارى ، وبين النسخ الثلاث المعروفة من التوراة (العبرانية والسامرية والسبعينية).

وتظهر هذه الإشكالات النصية في نصوص الكتاب المقدس نفسه ، فقد أشار العهد الجديد (الإنجيل) إلى تقسيم العهد القديم إلى قسمين تارة: الناموس والأنبياء ، في إنجيل متى: "لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا." ² وأردف كذلك في السفر ذاته: "بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كلّهُ والأنبياءُ." ³ وتارة أخرى نراه يقسمه إلى ثلاثة أقسام: موسى ، والأنبياء ، والمزامير ، كما جاء في إنجيل لوقا: "44 وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ.»" ⁴

وقد أشار الكتاب المقدس إلى أنّ هذه الأسفار قد رُتبت هكذا ، بالنسبة إلى زمن كتابتها وظهورها أول مرة ؛ حيث "تنسب الرواية اليهودية والمسيحية القديمة تأليف الأسفار الخمسة في صورتها الحالية إلى موسى ، وهذا يجعلها في صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمني لمادتها أيضا. وكذلك ظن أن بقية أسفار العهد القديم أُلّفت بالترتيب الذي نراها عليه الآن." ⁵ هذا الترتيب محط اختلاف بين الباحثين في نصوص الكتاب المقدس ، وفي هذه المسألة خلاف عظيم.

وكما هو الشأن بالنسبة لنصوص القرآن الكريم ، فإن مسألة ترتيب نصوص العهد القديم ، خاصة التوراة (ترتيب الأسفار وأجزائها) تخضع لزاويتي نظر مختلفتين ومتناقضتين: الأولى توقيفية ، والثانية اجتهادية .

حيث تعتبر الفئة المؤمنة بتوقيفية العهد القديم الترتيب الذي نراه اليوم توقيفيا من صميم الوحي ؛ أي أنه ترتيب أصلي في الكتاب المقدس ، خاصة نصوص التوراة ، التي يُنظر إليها دوما أنها النصوص الأكثر أصالة من غيرها. وعليه فإن العهد القديم بنظامه ونصوصه وترتيبه وأسماء أسفاره... الخ ، جميعها من صميم الوحي والإلهام ، وهو الشكل النصي الأصلي غير القابل للشك. "ولكن صعوبة قبول هذا الترتيب في التأليف أدت [...] إلى فحص نقدي شامل للموضوع [...] وقد عكس الترتيب التقليدي لتأليف أسفار العهد القديم ونسب إلى زمن يلي موت موسى بعدة قرون تأليف الأسفار الخمسة الأولى خاصة."⁶ ونصوص العهد القديم وفق الشكل الذي ترسخ عليه اليوم بكل خصائصها ، هي نصوص اجتهادية من وضع واجتهاد كتبة العهد القديم ، الذين اجتهدوا وانفقوا على هذا الشكل الذي بين أيدينا.

ويبدو أن المشاكل النصية التي واجهت نصوص العهد القديم هي المشاكل ذاتها التي رأيناها في نصوص القرآن الكريم ، من حيث ترتيب وإعادة ترتيب النصوص في فترات زمنية متباعدة. في مرحلة تاريخية من تاريخ الكتاب المقدس "كان كل سفر يُكتب في درج قائم بذاته ، ولهذا لم تنشأ مسألة ترتيب الأسفار ولم تظهر أهميتها إلا حين أخذ في جمع الأسفار المقدسة."⁷ فهذا الترتيب الذي نراه اليوم لأسفار العهد القديم ليس أصليا فيه ، وهو من اجتهاد الكهنة وكتبة الأسفار ، يعكس تصورهم لبنية النص المقدس كما اتفقوا عليها. وعليه فإن المشاكل النصية تظهر مع محاولات ترتيب الأسفار وتنظيمها حسب نظام ترتيب يراعي شروطا معينة ، هو على الأرجح ترتيب موضوعاتي ، وغالبا ما كانت موضوع جدل بين المشتغلين على نصوصه. خاصة وأن الأسفار لا تنتمي إلى الحقبة الزمنية ذاتها ، فبينها مدى زمني يستغرق عدة قرون ، هذا دون أن ننسى أن الأسفار متشابكة فيما بينها من حيث تاريخ ظهورها وزمن تأليفها وتدوينها ، وكذلك تعدد المصادر واختلافها.

ويتضح من خلال الشكل الأخير الذي استقرت عليه نصوص العهد القديم، أن الكتاب والكهان لم يراعوا الترتيب التاريخي، أو التسلسل الزمني في تنظيم نصوصه، كما رأينا في ترتيب نصوص القرآن الكريم؛ إذ "لم تُرتب هذه الأسفار على حسب الأزمنة التي كتب فيها كل واحد منها"⁸ حيث يتكون نص السفر الواحد من عدة نصوص متباعدة من حيث ظهورها زمانيا ومكانيا، وهي كذلك متداخلة ومتشابكة نصيا في ترتيبها، على قدر كبير من الانسجام والاتساق النصي الذي يوهم قارئها أنها ظهرت على الشكل الذي هي عليه، رغم التناقضات التي يحملها في طياته.

إن طبيعة تكوين النص التوراتي المقدس يطرح إشكاليات نصية متعلقة بالاتساق والانسجام النصي بين أسفاره، "ففي كل سفر ألوان أدبية مختلفة ممزوجة. وعلى الاختصاصيين بحث أسباب هذا التجميع المتباين بين أنواع مختلفة من الوثائق."⁹ مع التأكيد دوماً أن مسألة الترتيب التاريخي لنصوص الكتب المقدسة (القرآن الكريم والكتاب المقدس... الخ) جوهرية في فهمها، فالترتيب التاريخي . على الأرجح . يكشف لنا خفايا النص التي توارت بفعل التنظيم وإعادة التنظيم التي طالت النص الأصلي للكتاب المقدس.

وإذا كان الوصول إلى الترتيب التاريخي لنصوص القرآن الكريم وتحديد أمره صعباً، فإن هذا الأمر . حسب ما نرى . يبدو أكثر صعوبة في ما يخص نصوص العهد القديم. النص المقدس إذا؛ فسيفساء متداخلة من النصوص المتباعدة زمنياً ومكانياً، المنسجمة والمتسقة نصياً، المترابطة نحويًا، المكتملة دلاليًا، المتنوعة المصادر. تحمل رسالة واضحة من مرسل (الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام)، إلى مرسل إليه مستقبل لهذه الرسالة (بنو إسرائيل زمن نزول التوراة وكل من يعتقد بها بعد نزولها). وهو نص لاتاريخي، تم تعديل نصوصه في ترتيبها التاريخي؛ أي حسب ترتيب ظهورها وتأليفها، وفق ترتيب لاتاريخي، يراعي الوحدة الموضوعية حسب مادتها.

وإن الخاصية اللاتاريخية لنصوص العهد القديم تؤكد يقيناً أنه قد خضع لسلسلة تعديلات نصية مست نصوصه، ويتجلى التدخل المقصود

والمنطقي في نصوص العهد المقدس بخاصة في ترتيب الأسفار وتنظيم مادتها ، حسب الحاجة الدينية والاجتماعية. "فترتيب التأليف كان على هذا النحو: أسفار الأنبياء فالأسفار التاريخية فالأسفار الخمسة. ولكن جمع العهد القديم بدأ بالأسفار الخمسة ، وبعدها أضيفت الأسفار الأخرى ، لا بترتيب التأليف ، ولكن بترتيب منهجي حسب مادتها.¹⁰ وتبدو العناية بالترتيب واضحة بشدة ، ومقصودة ، وممنهجة ، مهما كان صاحبها (سواء أكان وحيا إلهيا أو من تأليف موسى عليه السلام أو من وضع الكتاب والكهنة) ، ومهما كان زمان ترتيبها (قبل موسى عليه السلام أو بعده بفترة قصيرة أو طويلة). حيث يبدو أثر الفعل القصي المنظم والمرتب ترتيبا منطقيا (أو على الأقل كما يظنه واضعوه) لأسفار العهد القديم ، منذ الكلمة الأولى في سفر التكوين. ولعل التحليل البنائي السردى لنصوص العهد القديم (التوراة تحديدا) كفيل بكشف مدى صرامة وجدية الفعل المنتج للنص المقدس في العهد القديم.

وتُطرح في هذا السياق مسألة أخرى ذات علاقة وطيدة بترتيب النص المقدس ، وبتدخل الكهنة وكتبة في تشكيل جسد النص المقدس ، هي مسألة تقسيم الأسفار إلى أصحاحات ، وتقسيم الأصحاحات إلى أعداد أو آيات ؛ على الشكل الذي رأيناه في القرآن الكريم. أما "بالنسبة لتجزئة أسفار العهد القديم إلى أصحاحات. فمن المعروف أن النسخ الأصلية للأسفار المقدسة كذلك النسخ الأثرية القديمة العهد خالية من علامات الوقف التي تفصل الجمل بعضها عن بعض. بل كان التّساخ يكتبون الكلمات في السطر الواحد دون أي فاصل بين كلمة وأخرى ، ومن المحتمل أن يكون عزرا الكاتب هو أول من قام بتجزئة الأسفار الخمسة إلى 54 فصلا ليسهل قراءتها في السبوت بالمجامع على مدار السنة [...] ولكن سفر المزامير هو دون سواه الذي كان مقسما إلى أصحاحات منذ تدوينه.¹¹ يبدو أن عملية التقسيم إلى أصحاحات هي نتيجة للطقوس التعبدية اليهودية ، المتعلقة بقراءة التوراة وتحفيظها ، وممارستها في طقوسهم التعبدية ، وهي بدورها نتيجة للشكل الشفهي الذي ميز التوراة خلال حقبة زمنية طويلة ، لكنها تبسط أمام البحث العلمي مشاكل معرفية تتعلق ببنية النص المقدس.

لقد كان اجتهاد السّاخ في تقسيم العهد الجديد إلى أصحابات وأعداد (آيات) منذ فجر ظهوره وتدوينه ، فقد اعتنى الأولون بنصوصه ، ليسهل حفظه وتدرسه وتفسيره ، وبالتالي تناقله بين الأجيال عبر العصور ، خاصة وأنه نص شفاهي ، اعتمد على المشافهة أكثر من اعتماده على الحفظ الكتابي والتدوين. فقد رأينا أن كهنة اليهود وأخبارهم قد قسموا مزامير الكتاب المقدس إلى 54 قسما ، حسب أسابيع السنة ، كل قسم يتم ترتيبه في سبت من سبوت الأسابيع في السنة. "فقد قسم إلى أصحابات في منتصف القرن الخامس عشر وطبعت أول نسخة مقسمة منه سنة 1514م [...] قام الراهب بجنينوس بتقسيم أسفار العهد القديم إلى أعداد سنة 1560م ، كما قام العلامة الفرنسي روبرت استيفنس بتقسيم أسفار العهد الجديد إلى أعداد في عام 1545م.¹² وفي إطار محاولاتهم الجادة للاعتناء به حاولوا دوما تقسيم نصوصه وتجزئتها حسب ما تُمليه الضرورة الدينية والتعليمية ليسهل حفظه وتناقله ، وعليه جنحوا إلى مجموعة إجراءات نصية نتج عنها تقسيم نصوص الأسفار إلى أصحابات ، والأصحابات تم تقسيمها بدورها إلى أعداد أو آيات .

في ظل الظروف التاريخية القاسية التي مر بها شعب بني إسرائيل ، وفي ظل الظروف الاستثنائية التي ميزت حالة السبي والاستعباد والترفقة والتشتيت خلال فترة زمنية طويلة ، تفرعت نصوص التوراة إلى مجموعة نصوص مختلفة ومتناقضة ، هي النسخ التوراتية المعروفة (العبرانية ، السامرية ، اليونانية). "ويجهل الكثيرون بأنه كان في الأصل [...] كثرة من النصوص ، وليس نسا واحدا. ولقد كان هناك نحو القرن الثالث قبل المسيح ثلاثة أشكال لنص التوراة العبري على الأقل: نص الشارحين اليهود ، والذي استُخدم على الأقل في جزء من الترجمة اليونانية ، والأسفار السامرية الخمسة.¹³ في مثل هكذا ظروف حضارية ظهرت المصادر الأساسية للتوراة ، وهذه المصادر هي النسخ الأصلية التي سوف يُعتمد عليها فيما بعد لتوحيد النصوص المقدسة في نص واحد هو العهد القديم الذي نعرفه اليوم ، خاصة النسختان: السامرية والعبرانية .

والمرجّح لدينا "أن التوراة السامرية والتوراة العبرانية ، كانتا في الأصل توراة واحدة كتبها (عزرا) في مدينة بابل [...] وأنه لما اختلف

الأسباط غيروا وبدلوا".¹⁴ فقد تبيننا أن محاولات الكهنة وكتابة الوحي من الفريسيين لتوحيد نصوص العهد القديم قد توجت بالاتفاق على تدوين نصوص التوراة التي حفظوها ولقنوها للأجيال المتعاقبة كتابة وشفاهة ، لكن لم تلبث هذه النصوص التوراتية ذاتها أن تفرقت مرة أخرى في نصوص متميزة عن بعضها البعض ، خاصة بعد ظهور المملكتين اليهوديتين في كل من القدس والسامرة ، وما تبع ذلك من خلافات سياسية وأيديولوجية .

لقد ظهرت في بني إسرائيل بعد الخروج من مصر ووفاة موسى (ع) عند استقرارهم في أرض الميعاد ثم خلال مرحلة السبي البابلي وما بعدها ، ظهرت فرقتان ، اتخذت الأولى القدس عاصمة لها ، أما الثانية فاتخذت السامرة مقرا لملكها. "وكان يطلق على الفرقتين لقب العبرانيين [...] كما كان يطلق على الفرقتين لقب بني إسرائيل لأن أباهم واحد هو إسرائيل عليه السلام."¹⁵ واتخذت كل فرقة من الفرقتين توراة تتعبد بها ، تختلف عن الأخرى في بعض الأحيان اختلافات جوهرية ، وإن كانت على الأرجح تكمل بعضها بعضا. "والمشهور قديما وحديثا عن الفرقتين: أن الأولى تلقب باليهود العبرانيين ، أو اليهود ، وأن الثانية تلقب باليهود السامريين. وتوراة الفرقة الأولى تُعرف بالتوراة العبرانية ، وتوراة الفرقة الثانية تُعرف بالتوراة السامرية."¹⁶ والتمعن بالمقارنة بين التوراتين (العبرانية والسامرية) كفيل بتوضيح جملة الاختلافات الجوهرية بينهما ، خاصة فيما تعلق بعدد الأسفار وترتيبها ، والمادة التي تحويها ، والتي قد تمس في بعض الأحيان جوهر العقيدة. "أما عن الفروق بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية ، فإنها كثيرة جدا في الألفاظ والمعاني."¹⁷ يمكن اعتبارهما نصين مختلفين اختلافا واضحا رغم أصلهما التوراتي المشترك.

والشائع لدينا أن "التوراة مجموعة أسفار تصل تسعة وثلاثين سفرا ، منها أسفار خمسة أولى تقول بعض الفئات اليهودية: إنها هي التوراة وما عداها لا نعترف عليه. إنها حسب عقيدة اليهود السامريين أسفار موسى التي أنزلت من السماء وما عداها كتابات كتبها أحبار وحاخامات على مدى تجاوز السبع مائة سنة."¹⁸ فهي لا تنزل عندهم منزلة الوحي

الصادر عن الله سبحانه وتعالى ، بل هي مجرد كتابات ابتدعها الحاخامات والكهان ، يختلط فيها الديني بالدنيوي ، والتاريخ بالأسطورة ، واليهودي بالبابلي. السامريون هم "فئة قليلة من اليهود ، لا تعترف بغير الأسفار الخمسة من العهد القديم ، إلى جانب سفر يشوع ، وسفر القضاة ، وتحالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود."¹⁹ فالسامريون لا يسلمون من أسفار العهد القديم إلا بسبعة كتب ، وهي الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى (ع) وهي ما يطلق عليها التوراة أو الناموس ، بالإضافة إلى كتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة ، وتحالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود ، التي يؤمن بها نصارى البروتستانت حاليا.

كما ظهرت في هذه المرحلة من تاريخ الكتاب المقدس مجموعة ترجمات للتوراة أشهرها ما يعرف اليوم بالتوراة اليونانية ؛ أو التوراة السبعينية ، وهي واحدة من المصادر الكتابية التي اعتمد عليها جماع الكتاب المقدس في صياغة النص النهائي. فقد ظهرت التوراة اليونانية عندما ترجم بعض أبحار اليهود في القرن الثالث قبل الميلاد التوراة إلى اللغة اليونانية. ويقال أنها نسخة تمت ترجمتها من قبل سبعين حبرا من أبحار اليهود في ظرف سبعين يوما ، إلى اللغة اليونانية ، في مدينة الإسكندرية.²⁰ "لقد ترجموا الأسفار الخمسة ، وعُرفت ترجمتهم بالتوراة السبعينية اليونانية [...] ثم تُرجمت مرات أخرى إلى اليونانية ، القارئ لهذه الترجمة اليونانية أو السبعينية يحس بأنهما تتشابهان في الشكل والمضمون للسامرية أو العبرانية."²¹ وهي نسخة لا تختلف عنهما كثيرا ، إلا في بعض الجزئيات التي يمكن اعتبارها ذات أهمية قصوى في فهم بعض الظواهر السردية ، مثل التناقضات والتضاربات في بعض التفاصيل القصصية التي تتجلى في أسماء الشخصيات وأوصافها وأفعالها... الخ. "وما يقال في المقارنة بين السامرية والعبرانية يقال بين التوراة اليونانية والسامرية ، وبين اليونانية والعبرانية."²²

وما يُمكن استنتاجه في الأخير ؛ هو أنه "لو قارن قارئ بين أي واحدة منهما وبين السامرية ، أو بين العبرانية لاستخرج فروقا في ألفاظ ومعان تضارع الفروق بين الترجمة السبعينية والتراجم اليونانية."²³ قد تطرح هذه الاختلافات والفروق إشكالات جوهرية عند طرحها للمناقشة

العلمية والنقدية ، خاصة عند إخضاع نصوص الكتاب المقدس للمساءلة السردية ، فالاختلافات الدقيقة في الأحداث والأسماء والأشخاص... الخ ، هي من صميم خصائص البنية السردية في الكتاب المقدس ، وهي من صميم العمليات الجوهرية المشكلة للنص المقدس على الشكل الذي استقر عليه أخيراً.

ولعل الفروق النصية بين النسخ الثلاث من التوراة ، تتجاوز حدود الاختلافات النصية في الألفاظ والتراكيب ، لتتعداه إلى البنية الشكلية العامة لهذه النصوص ، تتعلق بترتيب المادة المضمنة في نصوصها ، فقد ظهرت بعض الاختلافات النصية الشكلية المتعلقة بكيفية ترتيب وتنظيم مادة النصوص ومحتواها ، بين النسخ الثلاث المشهورة من التوراة. "وقد رتبت الترجمة السبعينية أسفار العهد القديم على وجه يختلف بعض الشيء عن الوجه الذي اصطح عليه فيما بعد ، ووضعت لكل سفر عنواناً ، وذلك على المنهج الذي كان سائداً في مصر ، لأن الأسفار كانت تُعرف قبلاً بالعبارة الأولى من السفر." ²⁴ وهذا النمط النصي في التأليف قد سبق ورأيناه في تأليف أسماء (عناوين) نصوص القرآن الكريم ، حيث تُعرف السورة أو الحزب أو الجزء باسم أول كلمة منه (جزء سبح ، سورة تبارك... الخ). وإذا تعمقنا أكثر في تقسيم الأسفار وترتيبها وتسميتها ، لعرفنا يقيناً أن التدخل البشري في نصوصها ضارب في عمق نصوصها ، والنية مبيتة ومقصودة في ترتيبها وتنظيمها وفق نظام يخدم أهداف ومصالح دينية ، وربما سياسية في مراحل تاريخية قبل تدوينها.

أسماء الأسفار التي نراها اليوم ، هي نفسها موضع جدل عميق ، إذ لم تظهر للوجود مع ظهور النص المقدس ، بل هي متأخرة عنه كثيراً من حيث الحقبة التاريخية التي ظهرت فيه ، إذ يبدو أن الأسفار الخمسة الأولى (الناموس) كانت أسماؤها غير الأسماء التي نعرفها اليوم. "وتُعرف هذه الأسفار طبقاً للكلمة الأولى التي يبدأ بها كل سفر من الأسفار على النحو التالي: في البدء ، وهذه الأسماء ، ودعا ، في البرية ، وهذا هو الكلام. وهذه المسميات المأخوذة من النص العبري لا تشير إلى المضامين التي يشير إليها أي سفر من الأسفار. أما إذا رجعنا إلى المسميات اللاتينية المأخوذة عن الترجمة السبعينية فنجد أنها تدل إلى حد كبير على

مضامين هذه الأسفار [...] وعن طريق هذه التسميات اللاتينية تم ترجمة أسماء أسفار التوراة لكل اللغات التي تُرجم إليها العهد القديم فيما بعد.²⁵ فقد وجدت التسميات التي نراها اليوم بعد ظهور نسخة عن الترجمة اليونانية (الترجمة السبعينية) للعهد القديم بالموازاة مع ظهور النسختين العبرانية والسامرية ، وبالتالي بعد التوفيق بين النصوص الثلاثة والخروج بالنسخة الموحدة للعهد القديم على الشكل الذي نراه عليه اليوم ، وبالتسميات التي سُميت به أسفار التوراة الخمسة.

ونخلص في الأخير إلى القول: "إن العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول ، ومختلفة النوع ، كتبت خلال أكثر من تسعة قرون في لغات عدة أخذنا بالسماع. وكثير من المؤلفات صححت ثم أكملت ، تبعا للأحداث أو للضرورات الخاصة ، على مدى أجيال ، متباعدة أحيانا بعضها عن بعض."²⁶ ساهمت في تشكيله سياقات تاريخية وحضارية معقدة ، على مدى زمني طويل جدا. العهد القديم نص مقدس يتكون من مجموعة نصوص تسمى الأسفار ، حيث "يضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا ، قسمت إلى ثلاثة أقسام: التوراة أي الناموس والأنبياء والكتب."²⁷ وكل سفر من هذه الأسفار هو وحدة نصية متكاملة قائمة بذاتها ، تحتوي على مجموعة خصائص بنيوية تمنحها صفة النصية ، ورغم التباعد الزمني بين نصوص العهد القديم من حيث جمعها وتأليفها نجدتها تتألف وتتناسق مع بعضها البعض في نظام نصاني متسق ، لتشكل في مجموعها وحدة نصانية أكبر منها ، هي نصوص العهد القديم.

2. نظام الترتيب في النص المقدس: تنقسم هذه النصوص المتألفة

إلى مجموعات نصانية تجمع بينها مجموعة خصائص مميزة لكل مجموعة ، وهي عموما تتألف في ثلاث مجموعات نصانية ، كل مجموعة تجتمع حول خصائص شكلية ومضمونية مميزة ؛ فقد "قسم اليهود قديما العهد القديم إلى ثلاث أقسام: أ/ التوراة: الناموس أو الشريعة ، أسفار موسى الخمسة. ب/ الأنبياء: أسفار الأنبياء والقواد. ج/ المزامير: وقسمها اليهود إلى 54 قسما بعدد أسابيع السنة لكي يقرؤوا قسما كل سبت."²⁸ يمتاز كل قسم منها بمجموعة خصائص مميزة تجمع بينها ، وتتناول مواضيع معينة ، وهي على الشكل التالي:

القسم الأول: وهي أسفار موسى الخمسة الأولى من العهد القديم ، وهو ما يطلق عليه التوراة أو الشريعة ، تُعد أهم جزء من العهد القديم والكتاب المقدس ، ترتبط باسم النبي الأعظم عند اليهود ؛ النبي موسى (ع). وهي خمسة أسفار كما ذكرنا ، أولها: سفر التكوين أو الخلق ، وعدد أصحاباته خمسون أصحابا ، وفيه الحديث عن خلق ونشأة الكون وتدرج الحياة الإنسانية ؛ حيث اشتمل على قصة خلق العالم وتكوينه ، حيث جاء في سفر التكوين: "1 في البدء خلق الله السماوات والأرض. 2 وكانت الأرض خربةً وخاليةً ، وعلى وجه الغمر ظلمةٌ ، وروح الله يرفُّ على وجه المياه. 3 وقال الله: «ليكن نورٌ» ، فكان نورٌ." 29 ويدقق في ذكر عملية الخلق وما تجلى فيها من عظمة الرب الإله وقوته.

ثم يأتي الحديث عن خلق أبي البشرية: آدم (ع) ، وذكر خطيئته وقصة نزوله من الجنة ، حيث جاء في سفر التكوين: "15 وأخذ الربُّ الإلهُ آدمَ ووَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. 16 وَأَوْصَى الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا ، 17 وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا ، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ.» 18 وَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ: «لَيْسَ جَدِيدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ ، فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ.» 30 ثم الحديث عن نوح وقصة الطوفان... الخ ، وينتهي بذكر قصة النبي يوسف (ع) وإخوته وما كان من خبرهم في مصر ، ليختمها بالحديث عن وفاة سيدنا يوسف (ع).

سفر الخروج: وعدد أصحاباته أربعون أصحابًا ، وهو قلب الكتاب المقدس وجوهر أسفاره الباقية. "ويشكل سفر الخروج في العهد القديم ، مع قصة السير في الصحراء بعد الخروج من مصر ، والميثاق الذي وثقه الله في جبل سيناء ، الكتاب الثاني من الأسفار الخمسة والتوراة. وينزله القرآن طبعًا منزلة عظمى." 31 وتتناول أصحاباته الأربعون قصة بني إسرائيل في مصر واضطهادهم ، ثم الحديث عن سيدنا موسى (ع) وحواره مع فرعون ، وتفاصيل قصته كاملة حتى خرج بهم من مصر ، كما تضمّن الحديث عن الوصايا العشر والتشريعات والتعاليم الدينية الخاصة بآله بني إسرائيل (يهوه) ، وما حدث من بني إسرائيل في غيبة موسى (ع).

يركز السفر على الخروج الأكبر من مصر ، ومن هنا اشتق اسمه بسفر الخروج ، و"اسم هذا السفر في الأصل العبراني (وإله شيموت) أي (وهذه أسماء) وهما أول كلمتين وردتا في السفر ، أما في الترجمة السبعينية وفي معظم الترجمات فيسمى (الخروج). لأن سفر الخروج سجل تاريخي لخروج بني إسرائيل من مصر (أرض العبودية) إلى كنعان (أرض الموعد)".³² وهذا السفر ذو أهمية عقائدية بالغة عند اليهود والنصارى ، لما فيه من تأريخ لليهود وعقيدتهم وشعبهم ، ولما فيه من الخوارق والمعجزات التي بينت عظمة الرب وقوته في ملكوته. وتعود قصة الخروج من مصر للظهور تواترا ، على طول باقي أسفار التوراة والعهد القديم والكتاب المقدس عموما ، فهي مرجع الرسالة اليهودية والنصرانية.

رغم طول النصوص التي يحتويها سفر الخروج فهو السفر الثاني من حيث الطول بعد سفر التكوين ، ورغم التفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة التي جاء ذكرها في ثنايا نصوصه ، فإنه عموما "يتحدث عن موضوعين رئيسيين ، هما: رحيل بني إسرائيل عن مصر بقيادة موسى (ع)، وكانوا قد دخلوا في عهد يوسف (ع) [...] والعهد الذي أُعطي لموسى (ع) في صحراء سيناء".³³ وهذا الأخير هو محور عقيدة اليهود وشرائعهم ، منه استخلص اليهود أنهم شعب الله المختار اختارهم ليعبروا أرض الميعاد ويستوطنوها ، ليعبدوا الرب في عليائه ويذبحوا للرب ويقدموا القرابين ، في مقابل إقامة شريعة الرب في أرضه التي أورثها بني إسرائيل منذ عصر جدهم الأكبر ؛ إبراهيم (ع).

وفي العقيدة اليهودية والنصرانية ، "يعتبر سفر الخروج هو سفر الفداء ، والمقصود بالفداء ليس فقط هو إنقاذ الله لشعبه من العبودية المرة ، بل تعني أيضا أنه أدخلهم في علاقة خاصة معه وجعلهم خاصته [...] فهو يبدأ بالظلم إلا أنه ينتهي بالمجد".³⁴ إن لحظة الخروج والفداء بالنسبة لبني إسرائيل لحظة مفصلية تاريخية في حياتهم ، إنها اللحظة التي تحولوا معها من مجرد عرق وأقلية دينية مستعبدة في أرض الفراعنة إلى أمة قوية ذات ملك وسياسة وحضارة ، تستمد شرعية وجودها عهد الرب الذي اختارهم واصطفاهم من بين عباد.

سفر اللاويين: أو سفر الأحبار ، ويسمى كذلك سفر القداسة ، وعدد أصحاباته سبعة وعشرون ، وهو نسبة إلى لاوي أحد أبناء يعقوب الإثني عشر ، ومن نسله ينحدر النبي موسى (ع). وقد كان سبطه هو المنوط به حفظ التعاليم وخدمة الهيكل ، كما جاء في التوراة. واشتمل هذا السفر على كثير من شؤون الطقوس والأعياد والندور والكفارة والطهارة والأطعمة التي أحلت والأطعمة المحرمة ، وكذا الأنكحة والأنكحة المحرمة ، وفيه الحديث عن كثير من العادات والأوامر الدينية ، إنه باختصار كتاب شرائع اليهود ومنهاجهم. إنه سفر التشريع ؛ "يهتم بالتشريع ، وبخاصة القرايين والطقوس التي تهم الكهنة أبناء لاوي ، كما يحدث عن النجاسة والطهارة وأيام الأعياد والعطلات." ³⁵ يعرض السفر شرائع موسى (ع) بتفصيل دقيق ، ويضرب الأمثلة ، ويعظ ويذكر بشريعة موسى (ع) ، ويشرح ويفسر كل كبيرة وصغيرة جاءت لهداية بني إسرائيل. ويقرب اليهود من الرب ويحببهم في شرائعه ، ويضع الحدود ويحدد العقوبة: أحكام الزنا والربا والذبايح... الخ.

لقد جاء في مطلع سفر اللاويين: " ¹ وَدَعَا الرَّبُّ مُوسَى وَكَلَّمَهُ مِنْ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ قَائِلًا: ² «كَلِمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ مِنْكُمْ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ مِنَ الْبَهَائِمِ ، فَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ تُقَرَّبُونَ قَرَابِينَكُمْ. ³ إِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مُحْرِقَةً مِنَ الْبَقَرِ ، فَذَكَرًا صَاحِبًا يُقَرَّبُهُ. إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ يُقَدِّمُهُ لِلرِّضَا عَنْهُ أَمَامَ الرَّبِّ. ⁴ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرِقَةِ ، فَيَرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ. ⁵ وَيَذْبَحُ الْعُجْلَ أَمَامَ الرَّبِّ ، وَيُقَرَّبُ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الدَّمَّ ، وَيُرْسُونَهُ مُسْتَدِيرًا عَلَى الْمَذْبَحِ الَّذِي لَدَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ." ³⁶ سفر اللاويين هو السفر الثالث في ترتيب أسفار الكتاب المقدس وتبدأ قصته من حيث انتهت قصة الخروج من مصر ، فهو رحلة خروج الشعب إلى أرض الميعاد تحت قيادة هارون بن عمران ، رئيس الكهنة.

سفر العدد: وعدد أصحاباته ستة وثلاثون أصحابا ، وهو السفر الرابع من أسفار الشريعة ، وتسميته بذلك تعود لإطاره العام ؛ لأنه افتتح بتعداد بني إسرائيل ، ولأنه يشتمل على عدد الأسباط وتقسيمهم ، وعدد الذكور منهم وترتيب منازلهم حسب أسباطهم ، وعدد جيوشهم وأموالهم وأملاكهم ، كما اشتمل على الحديث عن سيرة بني إسرائيل وهم في بَرِّيَّة

سيناء تائهون ، وكذا الحديث عن التعاليم الكهنوتية والدينية. وباختصار إنه سفر "إحصائيات عن الشعب المختار ، وأنساب القبائل الإسرائيلية ، وتصوير ما حدث في سيناء حتى دخول أرض الميعاد." ³⁷ وحسب ما ذكر في التوراة قد جاءت أوامر الرب بإحصاء كل ما هو ملك لبني إسرائيل ، وقد جاء في مطلع سفر العدد: ¹ "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ ، فِي خَيْمَةِ الْجَمَاعَةِ ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِحُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلًا: ² «أَحْصُوا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَشَائِرِهِمْ وَبَيْوتِ آبَائِهِمْ ، بِعَدَدِ الْأَسْمَاءِ ، كُلِّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ ، ³ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا ، كُلِّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ . تَحْسُبُهُمْ أَنْتَ وَهَارُونَ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ. ⁴ وَيَكُونُ مَعَكُمْ رَجُلٌ لِكُلِّ سِبْطٍ ، رَجُلٌ هُوَ رَأْسٌ لِبَيْتِ آبَائِهِ.» ³⁸

سفر التثنية: وعدد أصحاباته أربعة وثلاثون سفرًا ، وهو السفر الخامس ويسمى سفر العهد الإلهي أو عهد الحب الإلهي ، وفيه الإعادة والتكرار لما تحدث عنه سفر اللاويين عن الحلال والحرام والأحكام والشريعة للتثبُّت ، ومن ثمَّ احتوى عرضًا تفصيليًا للوصايا العشر والأحكام الموسوية وتعاليم الشريعة وطقوس الكهنة والأعياد المشروعة عند العبرانيين ، والحديث عن الأخلاق والفضائل ، وينتهي بذكر وفاة موسى (ع) في جبل مؤاب ، وما كان من خبر مواراته الثرى ونياحته. "وهذا السفر تابع طبيعي لسفر الخروج ويعود إلى موضوع السير في الصحراء ، إنه يروي تنقلات الإسرائيليين منذ الأشهر الأخيرة في سيناء إلى عشية دخولهم أرض الميعاد ، وكاتب السفر يبلغ هذه الرواية ممتزجة بروايات أخرى ، ونصوص تشريعية ، ومجموعة قانونية من العادات والحوادث الثانوية." ³⁹ ويسمى كذلك سفر الشريعة الثانية ، وتعني إعادة الشريعة أو التأكيد عليها مرة أخرى وتكرارها للتذكير والتنبيه ، ومنها جاءت تسمية: التثنية أو تثنية الإشتراع.

كما يوصف عند بعض الأخبار بأنه: سفر التذكير أو سفر التحذير أو سفر التوبيخ. و"ينتهي سفر التثنية بالحديث عن موت موسى (ع) ودفنه في أرض مؤاب وأن نبيًا مثله لن يظهر في بني إسرائيل إلى الأبد." ⁴⁰ وفيه جاءت كلمات موسى (ع) الأخيرة ووصاياه التي ختم بها دعوته ، جاء في سفر التثنية: ⁵ "فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوَابَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ⁶ وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوَابَ ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَعُورَ . وَلَمْ يَعْرِفْ

إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. ⁷ وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ ، وَلَمْ تَكِلْ عَيْنُهُ وَلَا ذَهَبَتْ نَصَارَتُهُ. ⁸ فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوَابَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا. فَكَمَلْتُ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى. ⁴¹ وحسب علماء الكتاب المقدس تُنسب أصحابات هذا السفر جميعها إلى موسى (ع) فهو كاتبها ، إلا الفصل الذي جاء فيه وصف وفاته وخلافة يشوع بن نون في بني إسرائيل ، فإنها تُنسب لغيره ، فليس من المعقول أن يكون موسى (ع) قد كتب خبر وفاته ونياحته ودفنه وبالتالي خلافته في اليهود العبرانيين.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء ، ويُقصد بهم أنبياء بني إسرائيل ، ويحتوي كل سفر على التعاليم التي نادى بها النبي الذي ينسب إليه السفر ويسمى باسمه ، ويتسم هذا القسم بالإنذار بهلاك الدولة وعدم تحقق آمال بني إسرائيل في قيام دولة الميعاد ، لأنهم خالفوا أوامر الرب فحل عليهم غضبه ، كما تحدث عن بعض الوقائع التاريخية لبني إسرائيل في أرض كنعان وفلسطين ، وتأسيس دولتهم ونحو ذلك من قضايا السياسة والحكم. "فالأسفار التاريخية تواصل تاريخ (الشعب المختار) من حيث انتهت الأسفار الخمسة ، وتسير به على نحو يتفاوت كمالا واتصالا حتى القرن الثاني قبل الميلاد." ⁴² فهي تحكي تاريخ بني إسرائيل منذ وفاة موسى (ع) إلى مرحلة السبي ، تاريخ نهاية الدولة العبرانية وخراب هيكل سليمان وسقوط أورشليم في يد البابليين ، عندما سيق اليهود أسرى إلى بلاد الرافدين (السبي البابلي). كما تروي عودتهم إلى أورشليم وإعادة إعمار دولتهم حتى حوالي قيام المسيح عيسى (ع). "نطالع فيها تاريخ الشعب اليهودي من يوم دخوله أرض الميعاد (المحدد على الأرجح في آخر القرن الثالث عشر قبل المسيح) حتى النفي إلى بابل ، في القرن السادس قبل المسيح." ⁴³

والأنبياء الذين ذُكروا في هذا القسم يقسمهم الكتاب المقدس إلى الأنبياء الأولين وهم: يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني ، والأنبياء المتأخرين ، هؤلاء كذلك ينقسمون أيضا إلى الأنبياء الكبار: أشعيا ، أرميا ، حزقيال ، والأنبياء الصغار وهم: هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ، ويونان وميخا وناحوم ، وحبوق وصفنيا وحجي ، وزكريا وملاخي. وتشمل أسفار الأنبياء نصوصاً تاريخية تروي

وقائع وأحداث عصر كل نبي منهم ، كما تشمل العظات الأخلاقية والدينية للأنبياء ، وأعمالهم الإصلاحية ، ذات الطبيعة الاجتماعية والأخلاقية وتنطوي هذه النصوص كذلك على قطع شعرية وترانيم دينية ، وقطع من أدب الحكمة والكتابات التاريخية.⁴⁴

القسم الثالث: الكتب أو الأسفار الشعرية والتعليمية ، وهي أسفار تتعدد فيها الموضوعات ويغلب عليها الطابع الديني ، "وتضم الأناشيد والحكم والأمثال والمزامير والقصص ، وصورا من تاريخ اليهود وفلسفتهم."⁴⁵ وهي: سفر المزامير: وسُمِّي بالمزامير؛ نسبةً إلى الآلة الموسيقية التي يستعملها المنشدون عند تلاوتهم لشيء ما من هذا السفر ، ويشتمل على مجموعة من الترانيم الدينية والقصص والأساطير ، ويقع في مائة وخمسين مزموراً ، ينسب معظمها إلى داود (ع) والبعض الآخر إلى سليمان وموسى عليهم السلام. ويضم كذلك: سفر أيوب ، سفر الأمثال: ويقع في واحد وثلاثين إصحاحاً ، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والأمثال المتفرقة مختلفة الأسلوب. سفر نشيد الأنشاد وهو مقطوعة شعرية عذبة غاية في الرقة والجمال. سفر الجامعة ، سفر راعوث ، سفر المراثي ، سفر أستير ، سفر دانيال ، سفر نحميا ، سفر عزرا ، سفر أخبار الأيام الأول ، سفر أخبار الأيام الثاني. وتمتاز هذه الأسفار أنها أسفار شعرية أدبية تعليمية ، تمزج بين الدين والأدب والإنشاد والترفيه ، تعتمد على العرض الصوتي الشفهي ، تُرتل في مناسبات خاصة.

هذا التقسيم الثلاثي للعهد القديم هو التقسيم الشائع والأكثر انتشاراً ، وهو التقسيم المعتمد في النسخة المتفق عليها من الكتاب المقدس ، ونجدها في كل من التوراة العبرانية والتوراة السامرية. "أما في الترجمة السبعينية التي كان يستعملها اليهود المتكلمون باللغة اليونانية فقسمت أجزاء الكتاب المقدس إلى أربعة أقسام: 1/ أسفار الشريعة: التوراة ، وتشمل أسفار موسى الخمسة. 2/ الأسفار التاريخية: وتشمل من سفر يشوع إلى سفر أستير. 3/ الأسفار النبوية: وتشمل أسفار الأنبياء الكبار والصغار. 4/ الأسفار الشعرية: وتشمل المزامير . أمثال . نشيد الأنشاد."⁴⁶ حتى وإن اختلفت نسخ التوراة الثلاث في تقسيم الأسفار وتنظيمها فإنها عموماً تتفق في نصوص أسفارها ، وهذه الاختلافات على

الأرجح لا تمس جوهر العهد القديم ، لكنها تدل دلالة واضحة على أن العهد القديم قد تعرض لسلسلة مختلفة من التعديلات التي مست نصوصه في نسخه الثلاث.

أما المسيحيون ؛ فقد قسموا العهد القديم إلى أربعة أقسام هي: القسم الأول: أسفار موسى الخمسة. القسم الثاني: الكتب التاريخية ، ويقع في اثني عشر سفرًا ، يصور بشكل تفصيلي المسار التاريخي للشعب اليهودي ، بدءًا من يوشع بن نون وحتى عصر السبي والضعف الذي أدى إلى تفرقهم في ممالك الأرض ، تحت حكم الفرس واليونان والرومان. والقسم الثالث يتكون من: الأسفار الشعرية ، وهي: أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد... الخ. والأسفار التسعة والثلاثون السابقة هي مجموع أسفار العهد القديم ، طبقًا للنسخة العبرية التي اعتمدها النصارى في كتابهم المقدس. أما القسم الرابع فيتكون من مجموعة أسفار أخرى ، وتسمى الأسفار الخفية ، جاءت زائدةً في الترجمة السبعينية من الكتاب المقدس ، وهي: سفر طوبيا والحكمة والمكابيين الأول والثاني والثالث والرابع ، ويهوديت والكهنوت ونشيد الأطفال الثلاثة وسوزان ، وأسفار عزرا الثلاثة ، وزيادات في سفر دانيال... الخ.⁴⁷

في آخر المطاف لا بد من التأكيد على أن النص المقدس في العهد القديم رغم كونه نتيجة نهائية لعدد غير متناهٍ من عمليات التفكيك والتركيب التي مست بناءه على امتداد حقبة تاريخية واسعة المدى ، وفي حيز جغرافي واجتماعي تتجاذبه الصراعات والحروب. ورغم كونه الشكل المكتوب للنسخة الشفهية المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة ، ورغم كونه متعدد المصادر والأصول ، ورغم التناقضات التي تنطوي عليها هذه المصادر والأصول ، ورغم التعديلات الجوهرية المقصودة والعفوية التي تم إقحامها في نسخته الأولى ، ورغم ضياع بعض نصوصه واندثارها ، يبقى نصا مقدسا قائما بذاته "كصرح لأدب الشعب اليهودي من أصوله حتى العصر المسيحي ، وقد حررت الأجزاء التي يتكون منها. وتمت وروجعت فيما بين القرنين العاشر والأول قبل المسيح [...] فقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات. ولا نعرف اليوم إلا ما تركه لنا منه الذين عالجوا نصوصه

حسب هواهم ووفقا للظروف التي وجدوا فيها ، والضرورات التي واجهوها.⁴⁸

ورغم اعتباره في بعض الأحيان مجموعة من القصص الخرافية والأساطير البدائية ، المجافية للعقل والمنطق والمليئة بالعواطف الدينية الحماسية. فإن هذه الظروف وغيرها هي التي صاغته ، وإليها يعود الفضل في استقرار نصوصه بميزاتها وخصائصها على الشكل الذي هو عليه الآن. "وهكذا ظهرت الأسفار الخمسة مشكلة من التقاليد المختلفة المجموعة بمهارة من بعض الكتّاب الذين وضعوا مراجعهم تارة بعضها إلى جانب بعض ، وطورا غيروا الروايات بهدف تلخيصها مع الإبقاء على المستحيلات والتخالفات التي ساقَت المعاصرين إلى البحث الموضوعي عن المصادر."⁴⁹ وعليه فإننا لا نملك إلا الاعتراف به نسا مقدسا ونصا أدبيا ، ذا خصائص مميزة ، هذه الخصائص هي النتيجة الأخيرة لسلسلة طويلة من الظروف التاريخية التي مر بها هذا النص في تاريخ تكوينه.

وعلينا أن ننظر إليه باعتباره نسا مقدسا ، قد ساهمت عوامل متعددة في تركيبه ، وعليه لأبد علينا من قبوله على الشكل الذي هو عليه ، وعلى الأقل علينا احترام الخصائص التي ينطوي عليها. وبالتالي فإن العهد القديم رغم طريقة بنائه الخاصة ، والتي قد تجعل البعض ينظر إليه نظرة انتقاص من قيمته اللغوية والأدبية ، ويعامل بموجبها على أساس أنه ليس نسا بالمعنى التاريخي ، قد أخذ صفته النصية في سياقات اجتماعية وثقافية أعطته صفته النصية. ما يعني أن العهد القديم لا يصير نسا إلا داخل الثقافة الخاصة ، التي تبنته وأعطته صفته النصية. ذلك لأن الكلام الذي تعتبره ثقافة ما نسا ، قد لا يعتبر نسا من طرف ثقافة أخرى بل هذا الغالب. ويبقى العهد القديم ببساطة مدونة كلامية يتألف من الكلام ، الذي يُمكن . مهما كانت خصائصه وظروف ظهوره . إخضاعه للبحث العلمي وللمكاشفة المعرفية. مما يعني أن العهد القديم يعني في أبسط معانيه: ذلك الكلام المقدس القابل للقراءة جسدا واحدا متراصا متماسكا ، منسجما ، ومتسقا ، ذي البنية اللغوية الواضحة المعالم ، والمعنى الدلالي البين ، والذي يعطينا نسا قائما بذاته عند قراءته.

خاتمة:

تنطلق هذه الدراسة من اعتبار أن العهد القديم هو النص المقدس ، وهو عبارة عن بناء لغوي يتكون من وحدات لغوية منضدة متسقة منسجمة فيما بينها ، هذه الوحدات هي مجموع الأجزاء ومجموعات النصوص (التوراة ، الأنبياء ، الأشعار) التي تتكون بدورها من مجموعة من النصوص المتألّفة في مبنائها وعناها هي الأسفار ، التي تخضع بدورها لنظام تقسيم نصاني أصغر منه هو ما يُعرف بالأصحاحات ، التي تنجز إلى وحدات نصانية أصغر منها تُدعى الأعداد أو الآيات. تخضع بنيته لنظام تأليف وترتيب لاتاريخي ، لا يراعي التسلسل الكرونولوجي في ترتيب نصوصه ، تتسق وتنسجم فيما بينها. تربط فيما بينها تلك الخاصية التي تضمن العلاقة اللغوية بين أجزاء النص ، من الروابط النصية بين أجزاءه المكونة له ، كما توحد بين نصوصه تلك الخاصية التي تمنحه أنواع العلائق بين الكلمات المعجمية المشكلة لوحداته اللغوية الطبيعية.

نصوص العهد القديم هي بنية لغوية ، مركبة العناصر ، موحدة ومنظمة ومنضمة إلى بعضها البعض ، كلية يتكامل بعضها مع بعض ، متجانسة ومتسقة ومنسجمة ضمن نظام توزيعي خاص ، ذات أفق دلالي تؤدي إليه المستويات المتعددة لبنيتها اللاتاريخية. وهو سلسلة مترابطة من المقاطع اللغوية ، التي تشكل عند المتلقي فائدة. وهو رسالة لغوية تشغل حيزا معينا ، فيها جديلة محكمة مضمرة من المفردات والعبارات والجمال ، وهذه الجديلة تؤلف سياقاً خاصاً بالنص نفسه.

المصادر والمراجع:

- ¹ مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، دط ، 1968 ، ص 52.
- ² العهد الجديد: متى ، 11: 13.
- ³ العهد الجديد: متى ، 22: 40.
- ⁴ العهد الجديد: لوقا ، 24: 44.
- ⁵ مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم ، مرجع سابق ، ص 51.
- ⁶ المرجع نفسه ، ص 51.
- ⁷ المرجع نفسه ، ص 7.
- ⁸ المرجع نفسه ، ص 7.

- ⁹ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1990، ص26.
- ¹⁰ مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص52.
- ¹¹ ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مكتب النسر للطباعة، الإسكندرية، دط، 1997، ص22.
- ¹² المرجع نفسه، ص23.
- ¹³ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص23.
- ¹⁴ أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1978، ص30.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص4.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص5.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص30.
- ¹⁸ حسن الباش: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفتقان، الجزء الأول، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص20.
- ¹⁹ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، دط، 1988، ص209.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص140، 141.
- ²¹ أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، مرجع سابق، ص30، 31.
- ²² المرجع نفسه، ص13.
- ²³ المرجع نفسه، ص31.
- ²⁴ مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص7.
- ²⁵ عمر صابر عبد الجليل، أحمد محمود هويدي: المدخل إلى عبرية العهد القديم (نحو ونصوص)، دار الثقافة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية 2001، ص19، 20.
- ²⁶ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص28.
- ²⁷ مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص7.
- ²⁸ ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص19.
- ²⁹ العهد القديم: التكوين، 1: 1، 3.
- ³⁰ العهد القديم: التكوين، 2: 15، 18.
- ³¹ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص259.
- ³² ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص43.
- ³³ أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، مرجع سابق، ص24.
- ³⁴ ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص43.
- ³⁵ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص137.
- ³⁶ العهد القديم: اللاويون، 1: 1، 5.
- ³⁷ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص138.
- ³⁸ العهد القديم: العدد، 1: 1، 4.

- ³⁹ أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، مرجع سابق ، ص24.
- ⁴⁰ المرجع نفسه ، ص24.
- ⁴¹ العهد القديم: التثنية ، 34: 5-8.
- ⁴² مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم ، مرجع سابق ، ص53.
- ⁴³ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، مرجع سابق ، ص38.
- ⁴⁴ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة ، مرجع سابق ، ص138.
- ⁴⁵ المرجع نفسه ، ص138.
- ⁴⁶ ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية" ، مرجع سابق ، ص19.
- ⁴⁷ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة ، مرجع سابق ، ص138.
- ⁴⁸ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، مرجع سابق ، ص30.
- ⁴⁹ المرجع نفسه ، ص34.